(آراء وأنباء)

مؤتة للبحوث والدراسات

مأمون الصاغرجي

وصل إلى خزانة المجمع مؤخراً مجلة « مؤتة للبحوث والدراسات » من سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة مؤتة -الأردن ، (المجلد الثامن/ العدد الثاني/ أيلول ١٩٩٣) وكان موضوع هذا العدد اللغة العربية .

افتتح العدد بمقال عنوانه « عوف بن محلم الخزاعي » حياته وشعره ، كتبه رشدي حسن (ص ١١- ٦٧) . استهل الكاتب مقاله بمقدمة بيَّن فيها الأسباب الداعية إلى كتابته ، ولخص فيها مضمون بحثه ، ثم تناول بالتفصيل حياة الشاعر وعلاقاته الاجتماعية ، وألمَّ بالأغراض الشعرية التي تناولها في شعره ، وتكلم في الخصائص الفنية التي تميز بها ، ثم ذكر المصادر التي استخرجه منها والمنهج الذي اتبعه في جمع شعره ، وكان قد جعله في قسمين : الأول ما صحت نسبته إلى الشاعر ، والثاني ما ينسب إليه وإلى غيره من الشعراء .

وقام الكاتب بضبط النص وتخريجه من المصادر ، وأثبت اختلافات الروايات ، وشرح ما احتاج إلى شرح ، وهو جهد يشكر له ، ولكن يبدو أن الأخطاء الطباعية شوَّهته وأحالت ألفاظه ومعانيه إلى الالتواء ، فمثلاً في البيت الثالث من المقطّعة الأولى ص٣٠ جاء ضبطه هكذا « وأبصِر ما يُرِيُبُهمُ » والصواب « وأبصِرْ ما يَرِيبُهمُ » وفي البيت الثالث من المقطعة١٢ ص٤٦ : « نوح حملة » والصواب « نوح حمامة » . وفي البيت

الخامس من المقطعة ١٣ ص٥١ : «أمالكُ رحمةً » والصواب « رحمةٌ » بالرفع .

ولو رحنا نستعرض جميع الأخطاء لما خلت منها مقطعة أو بيت .

وثمة ملاحظات تؤخذ على الكاتب في عمله ، ففي المقطعة الثامنة ص٣٨ في البيت الأول :

أنشـــدني رَوْحٌ مـــديحـــاً له فقلت : شعرٌ ؟ قال لي : فايْش

ثم علق الكاتب على البيت بقوله : فيش : لعلها منحوتة من « فأي شيء هو » وفي معاجم اللغة : فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده ، فايشه مفايشةً : فاخره . وفايش الرجل : أكثر الوعيد في القتال ثم لم يفعل . (انظر تاج العروس ج١٧ ص٣١٩ وما بعدها ، مادة فيش) والمعنى الأول هو المقصود اهـ .

قلت : الصواب أنها منحوته من قولهم : « أي شيء هو » كما جاء في معجم متن اللغة (أيش) ، والفاء للاستئناف ، إذ لا صلة للفظ (الشيء) بمادة (فيش) ، وربما أوقع الكاتبَ في اللَّبْس ضرورة الوزن التي ألجأت الشاعر إلى تحويل همزة القطع من قوله « فأيش » إلى جعلها همزة وصل « فايش » ليستقم وزن البيت من السريع .

وضبط الكاتب البيت الخامس من المقطعة التاسعة ص٣٩ هكذا :

ركبتُ بـه الأهوال حتى تركتـه بمنزلٍ ضنكٍ لا يكدّ ولا يَمضي

والصـواب أن يكون « بمنزلِ » على أنه مضـاف إلى « ضنكٍ » ليستقيم وزن البيت من الطويل .

وجاء في المقطعة (١١) البيت الخامس ص٤١ هكذا :

وقـاربت مـني خُطىً لم تكـنْ مقـاربـاتٍ وثنت من عنـانْ

فخطئ جمع خطوة ، والصواب في كتابتها هكذا « خُطاً » لأن أصلها واوي .

ومن مقالات هذا العدد « الغربة في شعر أسامة بن منقذ (٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م) (ص٦٩- ١١٨) كتبه حلمي إبراهيم عبد الفتاح الكيلاني ، بدأه بمقدمة بيَّنَ فيها مفهوم الغربة والاغتراب في اللغة وعلم النفس ، وأشار إلى هدف دراسته هذه أنها التحدث عن الغربة المكانية أو غربة النفي قهراً في حياة أسامة وشعره . وأتبع المقدمة بمدخل تمهيداً لفهم الحياة السياسية في عصر أسامة وأسرته والاضطرابات التي عاشتها في زمن الاحتلال الصليبي ، وما تعرضتْ له من اضطهاد وتغريب ، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن غربته واغترابه عن موطنه ، فكانت غربته الأولى من سنة ٥٢٥ - ٥٣٢هـ من جراء تخوف عمه سلطان بن علي حاكم شيزر منه ، إذ كان دائم الافتخار ببطولته وشجاعته ، وربما كان ولعه باصطياد الأسود وجز رؤوسها ما نفَّر قلب عمه منه ، وأدى إلى تخوفه على سلطانه ، ففي منتصف إحدى الليالي يأمره عمه بالخروج معه إلى موقع سماه خارج شيزر ، وفيه صارحه ببغضه ، وأبدى له تخوفه منه على سلطانه ، وطلب إليه ألا يساكنه شيزر ؛ فامتثل لأمره وودَّعه .

وينتظم أسامة في جيوش عماد الدين زنكي ، ولا ينى في الفخر بشجاعته وبلائه في المعارك التي خاضها معه ضد الصليبيين ، ويجد في عمله هذا عزاءً عن فقد أهله ووطنه .

وحين يهاجم الروم والفرنج قلعة شيزر يهبُّ للدفاع عنها ناسياً ما كان بينه وبين عمه سلطان ، آملاً أن يستقرَّ في وطنه من جديد ، إلا أن عمه لم يستطع التخلص من حقده ، فنفاه مرةً ثانية مع أسرته وأخوته سنة ٥٣٢ ، فذهب بهم إلى دمشق ، ثم انتقل منها إلى مصر سنة ٥٤٠ ومكث بها إلى سنة ٥٤٩ حيث عاد إلى دمشق ، وبقي فيها إلى أن حدث زلزال مروِّع في

شيزر عام ٥٥٢ . ثم ينتقل بعد ذلك مع ولده سنة٥٥٨ إلى حصن كيفا – جنوب شرق تركيا قرب حدودها مع العراق اليوم – إلى أن استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي أعجب به وبنظمه إلى دمشق ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره .

ويصور لنا الكاتب شدة وطء الزمن على أسامة ، وتقلبه في البلاد غريباً يحن إلى وطنه وأهله حتى يقول فيما يقول :

أهكذا أنا باقي العمر مغترب ... ناء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرُّ جيادي في معرَّسها ... حتى أروعها بالشدّ والظعن

وقد عاش أسامة عمراً مديداً ستة وتسعين عاماً كان له تجارب طويلة مع الحياة والناس أنطقته بالحكمة من مثل قوله :

الق الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهمو م كما انقضى زمن السرور
فمن المحال دوام حا ل في مدى العمر القصير

ثم يتناول الكاتب مظاهر الغربة في شعره ، منها الشعور بالوحدة والحنين إلى الأهل والأوطان وفقد الأحبة ، ومنها أيضاً تأكيد ذاته بما يحمله بين جنبيه من ماض مجيد في الشجاعة والفروسية ، وفي آخر المطاف بعد عمره الطويل يجد الملجأ والملاذ في الزهد بالدنيا وما فيها من مغريات .

ويختم الكاتب بحثه بنتائج توصل إليها من دراسته شعر أسامة بيَّن فيها أسباب الأغراض التي تناولها وأثر الأحداث في حياته وشعره .

وقد بذل الكاتب جهداً مشكوراً في تبيان هذا الجانب من شعر أسامة فأحسن وأجاد ، وعمله مع ذلك لم يكن يخلو من هنات ، من ذلك مثلاً قول أسامة ص٩٠ :

إذا عنَّ ذكراكم عرتني سكرة ... كأنّي سقاني البابليَّة خمّارُ(٩٠)

وعلّق الكاتب على البيت بقوله ص١١٤ حاشية ٩٠ : الخمّار : بقية السُّكر . اهـ .

وما شرحه الكاتب هو (الخُمَار) – بضم الخاء المعجمة وتخفيف الميم المفتوحة – وليس مراداً ، والمراد حسَبَ ضبطه لـ (خمّار) – بفتح الخاء المعجمة وتشديد الميم المفتوحة – في البيت فهو : بائع الخمر .

وجاء في ص٨٦ قوله :

انظـر بعـيشـك هـل تـرى أحـداً يـدوم عـلى المـودّة
لترى أخـلاء الرّخـا ءِ عـدا إذا نـابتـك شـدّة

ففيه أولاً : القافية هي الدَّال ، والهاء للوصل ، فتكتب من غير نقط هكذا « المودَّهْ ... شدَّهْ » .

ثانياً : قوله (عدا) بمعنى الأعداء ، الصواب أن يكتب « عِدَى » بالياء وإن كان واويًّا لكسرة أوله ، انظر التاج (عدو) وشرح شافية ابن الحاجب ١٢٣/٢ .

وجاء في الصفحة نفسها(٨٦) قوله :

وقد ساءني أن الليالي غيّرت أخلاي حـتى مـا يـدومُ خـليـلُ

والصواب في تقطيعه ، أن تكون كلمة « أخلاي » في أول الشطر الثاني ليستقيم الوزن .

يضاف إلى ذلك الأخطاء الطباعية التي شوهت جمال شعر أسامة ، من ذلك قوله ص٧٥ .

أطـاع مـا قـله الواشـي ومـا هرقا فعـاد ينكـر منـا كل مـا عرفـا

والصواب : « ما قاله... وما هرفا »

وقوله ص٨٩ :

مـا أنت أول أرض مسّ ترابهـا جسمي ولا فيك أوطاني وأوطاري

فالشطر الأول مختل الوزن ، ويستقيم بقوله « تربتها » .

ومن المقالات التي ضمها هذا العدد « شعر الرثاء في حروب الردة : دراسة موضوعية وفنية » (ص١١٩ –١١٦) كتبه علي ارشيد المحاسنة ، تناول فيه شعر الرثاء الذي قيل في حروب الردة ، وقسم فيه بحثه إلى قسمين :

الأول تحدث فيه عن القضايا الموضوعية في شعر رثاء المسلمين ، منهم رسل أبي بكر ودعاته الذين حاولوا ردع المرتدين وإرجاعهم إلى الصواب ودين الحق ، فقتلوهم لموقفهم هذا ، كعبد الله بن يزيد بن قيس السكوني ؛ ومنهم شهداء سقطوا في المعارك التي خاضها المسلمون كعبد الله بن المنذر التميمي ونافع بن غيلان وغيرهما .

وتعرض الكاتب أيضاً للشعر الذي قيل في رثاء المرتدين وعلى رأسهم مالك بن نويرة الذي كان لشعر متمم أخيه النصيب الأوفى من البحث ، إذ تنوعت فيه المراثي بين ندب وتأبين وتعزية .

أما القسم الثاني من البحث فتناول فيه الكاتب قضايا فنية متعددة ، منها شكل القصيدة والعاطفة والموسيقى ، بيد أنه لاحظ أن المقطعات خاصة تكاد تخلو من هذه الجوانب الفنية ، فهي أقرب إلى التاريخ منها إلى الفن ، وقد ارتبطت موضوعاتها بأحداث التاريخ . لذا ركز الدراسة الفنية في هذا القسم على شعر متمم دون سواه لشموله على قضايا التي دار البحث حولها في هذا القسم .

وفي هذاالمقال ما في سالفيه من أخطاء طباعية وعروضية كنا نتمنى لو خلا العدد منها .